النظر المستقبلى ومشروع التغيير العربى الإسلامى
محاولات للتحديد

ضمن مثلث التصور المستقبلى الجامع بين السنن ومقتضيات الفقه السفنى وتفعيل المدخل المقاصدى فى بناء الاستراتيجيات يمكن صياغة الرؤية المستقبلية للمشروع الحضارى الإسلامى ، فى إطار الصياغة الشرطية للسيناريوهات ، والتفكير فى قانون العاقبة الملازم للمدخل السفنى وبناء الاستراتيجيات النابع من عشرية المقاصد (**المجالات ، الحفظ ، الأولويات ، الموازين ، فقه الواقع ، المناطات ، المآلات ، القيم ، السياقات ، الوسائل والآليات**) .

المدخل السننى :

النظر السننى من أهم أصول هذا النظر الاستشرافى هو تعلم فعل السنة ،و السنة الإلهية التى تؤصل قواعد لقوانين ونواميس تحكم الحركة والممارسة فى عالم التاريخ ، والأنفس والاجتماع ، وقبل هذا كله التعلم على النواميس التى تتعلق بالحركة الكونية ، النظر السننى يحمل فى مكنوناته نظراً استشرافياً وإمكانات مستقبلية فى تشكيل الوعى وحركة السعى . السنن تنساب ضمن حركات الزمن وترابطها "**الحاضر والماضى والمستقبل**" وتربط فيما بينها ربطاً محكماً وحركات المجالات "**الكون والتاريخ والنفس**

والاجتماع " لتؤكد بذلك نظراً استشرافياً محكوماً بالقوانين والسنن

والإيمان بالقدر لا يعد قعودا أو انتظارا ، بل هو طاقة فاعلة ودائمة للحركة ، كما أنه لا يتنافى بالأخذ بالأسباب وتبصر السنن ، إن الوقوف عند حوادث القدر خاصة مع صعوبتها ليس إلا عملا قد يؤدى إلى شل الحركة وعجز التفكير ، بينما الإيمان بالقدر (**خيره وشره**) لا يجعل توقف الإنسان أمام هذه الأحداث إلى الحد الذى يقع أسيرا فيها ولها مشلول الفاعلية وعاجز التفكير ، بل يطالبه ذلك بالتوقف عند الحدث " تذكرا" وعبرة " كمقدمة لمواصلة الفعل والفاعلية فى التفكير والسعى . خاصة أن ما وقع قد وقع بحيث لا يمكن منع الحدوث بعد الوقوع فإن ذلك من المستحيلات العقلية والبدهية ، إلا أن عين العبرة على الحدث تجعل الفرد أو الجماعة أو الأمة فى حالة عبور مستمر من الحدث الذى وقع إلى استشراف لمستقبل يتحرك صوب إمكانات التغيير وحركة الفاعلة وإمكانات التدبر لتشكيل حركة المستقبل من دون منافاة للإيمان بالغيب ."**ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يُرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى** .." ، إنها حركة مستمرة لمصلحة النظر والفعل المستقبليين لا التوقف الأسير للحدث ، فيتحكم به الحدث ، لا يتحكم هو به وفق منظور التعرف على الأسباب والوعى بالسنة والتقاط العبرة وبما يشكل ذلك منظومة متكاملة للدافعية للحركة

نحو المستقبل ، والبحث عن مناط الفاعلية فكرا وممارسة لصياغة المستقبل .وفى كل الأحوال لابد أن يُتعرف على الحركة السننية الحاكمة: (**قل هو من عند أنفسكم**).

هذا التوجه السننى يتحفظ على توجهات، لقصور تساؤلاتها واقتصارها على جهة بعينها دون الرؤية الكلية الشاملة من مثل التساؤل الذى قفز بحدة بعد الاحتكاك بالغرب المتفوق بعد نهضته، وبعد هزيمة عالم المسلمين من بعد كبوته فتحرك السؤال: لماذا تخلف وضعف المسلمون وتقدم غيرهم؟ أو التصور الذى يقوم على محاكاة الغرب واللحاق بركبه الحضارى ضمن تصوراته لمستقبل عالم المسلمين، كما يتحفظ هذا التوجه على الاستجابات التى تتمثل فى التوجهات الانفعالية والبلاغية، والإغفالية أو الافتعالية، وتلك التوجهات المتمركزة على فكرة المؤامرة مع ما تتركه من آثار على العقل المسلم وطرائق تفكيره وتقدير إمكاناته وقدراته فى الممارسة والحركة، وتحاول أن تحيل مكامن قصورها فى التفكير والممارسة إلى عوامل خارجية فحسب دون أن ترى فعل القابليات ضمن علاقة منضبطة بين الداخل و الخارج، وذلك أن الخارج لا يمكِّن له الا بمقدار ما يمكِّن له ضعف الداخل ووهنه، فهذا التمكين لا يجد شرطه إلا فى استجابات الداخل وضعف إرادته وقدرته فى تعظيم إمكاناته وتحويلها إلى تمكين ومكانة. أما

التوجهات التى مارست نهاية التاريخ على طريقة بعض المسلمين ، فهى فى غالبها تعلقت بمنطق الغيب وتأولت معانى البشارة والنذارة على غير أدوارها ووظائفها فى تشكيل العقل المسلم، بما تهدف إليه من حالة "لتزييف السنن" وربما تعطيلها بالكلية. فوضع هؤلاء ضمن تأويلاتهم فى حالة المتنبئين بالمستقبل ،محددين أزمانا وأحداثا بشكل يغلف القعود لمن يريد أن يفعل أو الانتظار لمن يريد أن لا يفعل مبررا له انتظاره، هذا العقل المتنبئ الذى اختلط فيه الغيب بالاسطورة تأويلا من المتنبأ ضمن مناهج شديدة الإشكال بداء وكأنه يبشر باحداث يتلقاها من هو فى حالة الوهن أو الكسل العقلى أو المرتكن إلى سلوك يشير إلى اللافعالية من غير جهد واجتهاد. والآية العمدة فى مقام تأسيس دراسات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[الحشر:18] . إنها آية لافتة إلى ذلك المنظور السننى والمقاصدى فى آن واحد

إذن يبدو المستقبل، ورؤية السيناريوهات وتطوراتها يعبر عن القاعدة السننية المحكومة بالشروط الكلية، والحدود والخيارات، والسقوف. وتداخل المتغيرات يعبر عن صعوبة تشغيل السيناريوهات، فالمتغيرات تفعل فعلها بحكم فاعلياتها وأوزانها

وتأثيراتها وتفاعلاتها لا يكون ذلك اختيارا من الباحث بل هي عملية مفتوحة، تعبر عن ضرورة ملاحظة التغيرات ورصدها والمتغيرات وتحريكها، والعوامل وتفاعلها.

فقه وثقافة السفينة
وبناء المجتمعات وحركة مستقبلها

يتوقف الحكيم الترمذي عند معنى "المثال" في حيث قال: (**الأمثال: نموذجات في الحكمة، لما غاب عن الأسماع والأبصار، لتهتدي النفوس بما أدركت عيانًا**) ، ومايسهم فى استشراف المستقبل تدبيرا ومآلا .

إذا كان هذا هو المثل طبيعة وتوظيفًا، فماذا عن مَثَلِ "السفينة" الذي تضمنه حديث السفينة للنبي (**عليه الصلاة والسلام**)؟.

"**مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُواْ عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّواْ عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا خَرْقًا فِي نَصِيبِنَا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا**" رواه البخاري.

الحديث إذن -بنصه ومشابهاته ومقايساته يشير إلى جملة من المعطيات والمفاهيم- يكون بحق منظومة رؤية متكاملة وشبكة من المواقف والأحكام والتقييمات لا يمكن التغاضى عنها، فضلاً عن بلوغ الغايات الاجتماعية والتربوية والحضارية، والمستقبلية .

مفردات المثل النبوي ليست مجرد مفردات لغوية مصمتة،

ولكنها مجموعة من الكلمات الحية يراد بها التأثير، فهو إثارة فكرة، وبيان وتدبر مغزى، على مايقول **مصطفى صادق الرافعي** عن البيان النبوي:

".. ثم تركت الكلام النبوي يتكلم في نفسي ويلهمني ما أفصح به عنه، فلكأني به يقول في صفة نفسه: **إني أصنع أمة**. وقد كنت أقرؤه وأنا أتمثله مرسلاً بتلك الفصاحة العالية من فم النبي (ﷺ) .. يتكلم بكلام إنساني ... وأعجب من ذلك أني كثيرًا، ما أقف عند الحديث الدقيق، أتعرف أسراره، فإذا هو يشرح لي ويهديني بهديه، ثم أحسه كأنما يقول لي ما يقول المعلم لتلميذه: أفهمت؟ ... فهو كلام كلما زِدته فكرًا زادك معنى .. فهو معك على قدر ما أنت معه ، إن وقفت على حد وقف، وإن مددت مدَّ، وما أديت به تأدّى ... وليس فيه (**مما**) يجتلب له منها [**أي الألفاظ**] ويستكرهما على أغراضه [**أي الكاتب**]... إنما هو كلام قيل لتعبر به المعاني إلى حقائقها ... ليس له إلا قوة أمر نافذ لا يتخلف، وإن له مع ذلك نسقًا هادئًا هدوء اليقين، مبينًا بيان الحكمة ... ليتوجه بها العالم كأنه منه مكان المحور ... ولرأس الدنيا نظام أفكاره الصحيحة".

"**فقه السفينة**"، المستنبط من حديث السفينة يرسم خريطة الفهم لمفردات هذا الحديث النبوي وشبكة علاقاته التي يؤديها لنا: القوم، الاستهام، السفينة، الأدنى والأعلى وحديث الدرجات،

المرور الارتفاقي، الحاجات الأساسية (**الماء**)، التفكير الأخرق والمخروق، قوانين التملك (**موضعنا**) وقوانين العاقبة، وهم انتفاء الإيذاء والغفلة عن السُّنن: (**ولم نؤذ من فوقنا**)، ثقافة الخرق والهلاك، وثقافة التنبه والنجاة.

مفردات يؤديها الحديث ضمن شبكة تشير إلى تكافل مدخل السُّنن في تفسير بعض ما يدلي به إلينا حديث السفينة. كما يشير الأمر إلى العمليات الواجبة في التفكير والتدبير والتسيير كعمليات لا يمكن التهاون بها أو التهوين منها تشير إلى مغزى "**الرابطة السفنية**" التى تشير بدورها إلى عمليات الفعل والتفاعل والتفعيل والفاعلية، وتشير كذلك إلى مدخل السنن وكذلك مدخل الحفظ المستمر الدافع الى استشراف المستقبل والتعامل معه ،مستصحبة قانون العاقبة المؤسس للمعنى السننى وتدبير يرتبط بالمستقبل وعيا وسعيا .

النظر المقاصدى : يتكامل مع النظر السننى والنظر السفنى ، النظر المقاصدى ، وطالما انتقلنا إلى دائرة المقاصد والأهداف والغايات الكلية والأصول العامة والتى تشكل "**مقاصد كلية كبرى وعامة**" يُسعى إليها وتُرتجى ، فإننا أمام نظر استشرافى موصول ومتواصل حتى بلوغ المقصد ، مع ما يعنيه ذلك من ضرورة النظر إلى الكيفية التى يتوصل بها إلى المقصد فى حالة نشدان دائم لمستقبل أفضل

يتحرى المقاصد على نحو أكثر فاعليه وتفعيلاً فى الواقع ، فى الحال والاستقبال ،إذ المدخل المقاصدى يرتبط بالتحديات الآنية المستقبلية، ومواجهة التحديات المانعة والتى تمثل منظومة الضرر، دفع الضرر مقدم على جلب المصلحة، ويشكل تحدى البناء الإيجابى منظومة فى إطار التحديات ،وكذلك فإن الحفظ فى هذا السياق عملية دائمة تمتد إلى المستقبل ، والمجالات الكلية يجب أن تكون مجالات التعامل المستقبلى ،واعتبار المآلات من أهم الصياغات فى الرؤية المستقبلية ، وميزان الأولويات هى فى جوهرها تأسيس لحركة مستقبلية .

أما الاهتمام بالاتجاه السننى فى الرؤية المستقبلية وتكامله مع المنظور المقاصدى ، فهو اهتمام يصحح مجمل الرؤى فى التوجه للمستقبل، ويؤصل رؤى نقدية للاتجاهات القائمة للتفكير بالمستقبل ، كما يؤسس لرؤية سننية ومقاصدية لعلوم المستقبل نظن أنها أهملت ووجب التنبيه إليها والعمل على تأصيل قواعدها وعناصرها وتطبيقها ، فى إطار يشير إلى فاعليتها ليس فقط التنظيرية بل وكذلك الفاعلية العملية ، يتعلق بإمكانية النظر التقويمى للحالة الإسلامية ومواجهتها للتحديات وأنماط الاستجابة ، فضلاً عن النظر المستقبلى من خلال السنن وعناصر شرطيتها فى التعامل . وذلك فى سياق النظر الجامع بين المقاصد الكلية **"المقومة "** والسنن

المستشرفة للمستقبل وسنن العاقبة الكامنة فى حديث السفينة وتدبره فى إطار الوعى بالتحديات إدراكا وسعياً للتعامل معها من خلال مناهج تفكير ملائمة ، ومناهج تدبير لائقة ، ومناهج تسيير فاعلة . ويطول بنا المقام لو أردنا أن تعطى نماذج استشراف مستقبل لمجمل التحديات الآنية والمستقبلية والتى يمكن أن تؤصل معانى **"المقاصد"** و**"السنن"** وسفينة الأمة ضمن قراءة الماضى والحاضر والمستقبل لهذا الكيان المحقق لمعنى الخيرية والوسطية والشهود ، كصفات وأدوار ومكانة .

هندسة الاجتهاد المقاصدي
ومعادلاته الاستراتيجية

دراسة في جامعية الأمة وضرورات الاحتشاد للمقاومة والممانعة : (سيناريو الفاعلية) :

إن الاهتمام بشأن البناء الحضاري وهندسة الاجتهاد المقاصدي ومعادلاته السننية الاستراتيجية وأصوله العمرانية والحضارية بما يؤسس رؤية في تجديد جامعية الأمة ، للخروج من حال الاختلاف إلى فن الائتلاف في إطار الموافقات الكبرى في سياق اعتصام الأمة وتماسكها ذلك المشروع الحضاري الذي يعتبر من أوجب الواجبات وذلك للتعامل مع جملة التحديات وتقويم عالم الاستجابات وبناء وتأسيس الاستراتيجيات . ومن هنا كان ذلك المدخل الكلي الهادف إلى الألفة الجامعة للتمكين لكل أمر يؤدي إلى جامعية هذه الأمة وفاعليتها ، من ضرورات **البناء الاستراتيجي والحضاري** ضمن أصول الفقه الحضاري والاستراتيجي والعمراني .

"فقه جامعية الأمة ومانعية افتراقها وتفرقها" في واقع الدولة القومية والسياسات الكونية والعولمية .

ـ الإسهام السني والشيعي في التجديد بالاجتهاد المقاصدي وعملية التقريب .

ـ إذا اتحدت التحديات وجب اتحاد الاستجابات .

ـ إذا ضعفت الاستجابات وجب وضع الاستراتيجيات .

ـ إذا وضعت الاستراتيجيات وجب الوعي بالحاجات .

ـ والتفكير بالوسائل والأدوات والآليات .

ـ إذا ارتبكت المدركات وغامت المفهومات واضطربت التصورات غابت الرؤى وتشكيل الاستراتيجيات .

ـ إذا وُجدت القابليات تمكنت الأفعال والفاعليات .

ـ نحن كنا في عصر تقسيم المتكاملات والتفتيت إلى جزئيات وتقسيم الكيان إلى منفصلات ومحميات .

ـ إذا وجدت الاختلافات بين مؤتلفين وجب الخروج بها إلى دائرة الائتلافات ، وإذا كان منها بدُ لابد أن نتعلم فن إدارة الاختلافات

ـ لابد أن نحرص أن توجد الاختلافات دائما فيما بيننا في دائرة التعددات والتنوعات والتكاملات لا في دائرة التناقضات والتنافيات والتنازعات .

وإذا تنوعت الإمكانات وتعددت القدرات صار فقه التجميع والتنظيم والتنسيق أولي .

كل ذلك يهدف إلى بناء موقف تقريبي يحفظ جامعية الأمة بين الشيعة والسنة فى إطار صياغة موقف تجديدي من خلال الكليات

الفاعلة في المدخل المقاصدي ، ولا شك أن النظرة الإيجابية لممارسة هذا الاجتهاد المقاصدي التي تجد أسسها في اجتهادات مقاصدية سابقة واحتهادات معاصرة إنما ترشح هذا المدخل التجديدي للقيام بدور محوري في عملية تحقيق جامعية الأمة واعتبار عملية التقريب واحدة من أهم مسارات تحقيق الجامعية ولكنها بمثابة المقدمة لعملية بناء مشروع حضاري عمراني للأمة .

ومن هنا يبدو لنا أن تلك الجهود فيما لو أحدثت تراكما في الوعي والسعي ستحقق لزوما وحدة الأمة وتماسكها في مقابل صناعة الفرقة والتجزئة والتبعية .ويشكل أحد أهم عناصر مشروع نهضة الأمة ليتحقق بذلك مشروع الأمة الوسط في مواجهة مشروع الشرق الأوسط بوصفيه الجديد أو الكبير فإذا كان مشروع الأمة الوسط يشكل جوهر الجامعية والتكاملية في الأمة ضمن نموذج الأمة ـ القطب ـ الوسط فإنه يقع في مواجهة مشروع الشرق الأوسط الذي يقوم على فك وتركيب كيانات عربية وإسلامية مختلفة في محاولة لجعل التجزئة والفرقة مدخلا لتحقيق الهيمنة والسيطرة ، لسنا في حاجة إلى التوقف كثيرا عند هذا التحدي ولكن من الواجب الشروع في الاجابة على سؤال غاية في الأهمية إذا ما اتفقنا على أن كل أصولنا المرجعية تؤكد على وحدة الأمة واعتصامها وائتلافها وتماسكها بما يؤكد أننا امام فرض من

الفروض الأساسية التي تتعلق ببناء الأمة وعمارتها ، وأن المنهيات التي وجهت إلى عالم المسلمين منذ كانت الدعوة إنما تنهي عن كل فرقة وتنازع وتشتت، ومن ثم كان التساؤل حيويا ، **أى النجدين يصب فى عافية الأمة :الوحدة والاعتصام أم الفرقة والانقسام ؟**

إذ تعتبر مصر وإيران وتركيا والسعودية من **دول الأركان** في أي بناء استراتيجي أو توجه نحو بناء المواقف والقدرات المتكاملة والمتكافلة بحيث تمثل أحد مداخل الاستجابات الواعية لمواجهة التحديات التي تترى على الأمة ، ومن هنا فإن عملا ثقافيا وتربويا من الأهمية القيام به وعليه في إطار التدريب الواعي على فنون **"الاختلاف"** وفنون **"الائتلاف"** على حد سواء ، ومن ثم فإن جهود التقريب التي انطلقت من زمن مبكر من مؤسسة الأزهر تشكل إمكانية لاستمرارية هذه الجهود على المدي المتوسط والطويل بحيث تشكل البنية التحتية لاعتصام الأمة وتعبئة قدراتها بما يحقق هذا في إطار تجميع المصالح وإمكانات تبادلها بدلا من تناقضها وتصارعها ، **"بناء المصالح" "واحد"** من أهم الأهداف المشتركة التي يجب أن تؤسس على قواعد ثقافية وتربوية واجتماعية واقتصادية وسياسية بما يحقق **" التجديد التفعيلي "** على الأرض وبما يصب في عافية الأمة وكيان وجودها وحركة استمرارها ونهوضها وعمارتها وارتقائها .

هكذا نستطيع أن نرصد إمكانات النموذج المقاصدى فى تحقيق جامعية الأمة ضمن **هذا الشكل**:

ويطول بنا المقام لو تطرقنا الى مداخل أخرى يمكن أن تحقق تكاملا مع هذا المدخل المقاصدى ،فمن القضايا المهمة التى ترتبط بمناهج التجديد فى جامعية الأمة وتأسيس البنية التحتية والفكرية لاستراتيجية التقريب هى الوصل التأصيلى بين مدخل المقاصد من جهة ، ومدخل السنن من جهة أخرى ، والمدخل السفنى المستند الى الحديث النبوى فى عملية الاستهام على سفينة تؤكد على وحدة الوجهة والمسار والمصير والعاقبة بما تؤكده من ضرورات تسهم فى بناء وحدة الأمة وتؤسسس لمناط فاعليتها من جهة ثالثة .

إن جهود التقريب ليست مجرد مناسبات للقاء ولكن يجب أن تكون ضمن تصور استراتيجى يحقق جامعية وفاعلية الأمة ، وتأهيلها لمعانى الرافعية للنهضة ، والدافعية لعمرانها .

محاولة لرؤية مؤشر الصعود الانتخابى
فى اطار التنظير للفاعلية
رؤية فى مستقبل مشروع
التغيير العربى الإسلامى

القدرة الإنجازية وشرط الفاعلية :

لا يعد التأشير الانتخابى و مدى مصداقيته و كفايته و كفاءته كافيا للاستدلال على فاعلية بعض الفاعلين الذين يحملون مشروعا حضاريا إسلاميا للتغيير وقدرتهم الإنجازية ، فمن الضرورى تسكين عملية الصعود تلك فى إطار مقترح لدراسة الفاعلية كعملية متكاملة يشكل الصعود فيها عملية الابتداء و التى تتواصل مع عمليات للفاعلية ، و أشكال و أنساق ، و مراحل ، (وعالم إمكانية و عمليات تفعيل ، و اصول فقه ، و إدارة تنظيمية فاعلة ، و عمليات حفظ و متطلبات و روابط و عمليات تقويم وتقييم .

فقد أثارت الانتخابات (**سمى العام 2005 بعام الانتخابات العربية**) جدلا واسعا على الساحة العربية بين اتجاهين متعارضين **الأول** يرى انها تمثل مؤشرا على أن المنطقة بدأت تعيش **"ربيع الديمقراطية"** و تشهد موجة من الإصلاح و التغيير و إطلاق الحريات العامة و تداول السلطات سواء كان ذلك نتيجة مطالبات

داخلية أو بفعل الضغوط الخارجية و **الثاني** يعتبر أها لا تعكس تحولا حقيقيا نحو الديمقراطية و الإصلاح ، و إنما تهدف إلى تحقيق اهداف القائمين عليها . تهدف للترويج لمشروعاتها أو حكومات تحاول تفادى الضغوط الخارجية و الداخلية التى تواجهها والالتفاف عليها).

هذا الاختلاف إنما يؤشر بدوره على أهمية النظر إلى المتغير الانتخابى ضمن سياقاته الكلية و المجتمعية و السياسية . و النظر إلى كل هذا بدوره فى إطار رؤية تقييمية لا تقتصر على المؤشر الانتخابى أو تخدع أو تنخدع به ، بل من الضرورى إدراج كل ذلك فى اطار البحث فى منظومة و شبكة الفاعلية لأى من التيارات و القوى السياسية و من بينها بالطبع التيارات الإسلامية .

البحث فى بيئة الصعود و العوامل الفاعلة فيه (**الفكرية و البنائية و الأدائية**) و العوامل الداخلية فيه و العوامل الخارجية المحيطة به و البحث فى معوقات الصعود أو التمكين له .

* نداء الهوية و عمليات التحليل الثقافى و الصعود الدينى .

* مقاومة الهيمنة الاستعمارية و عودة الاستعمار (**مقاومة فى الرؤية الإسلامية ..)** .

* السياسة و اتساع الحركة توسيع لمجال الحركة (**إعادة تعريف السياسى) (التواصل الجماهيرى)** .

* فشل تجارب الانظمة .

* المحجوبية بين المحدودية و إمكانات الفاعلية (**الممنوع مرغوب**) (**الاحتيال على السياسى الضيق المحصور فى التعامل مع السلطة**) .

* الأداء السياسى و القدرة على الاستثمار السياسى .

* ذاتية الفاعلية لا يمنع من أن أطر ممارسة القوى الأخرى من الضعف بحيث يتضح معها أدنى فاعلية .

* الوسط و التمكين لعمليات الفاعلية الذاتية والمتعدية المناسبة لحقائق الوسط السياسى .

ويظهر أن منها عوامل ذاتية مرتبطة بالهوية الإسلامية وطبيعتها ، ومنها ما هو موضوعي يرتبط بطبيعة التطورات والتحولات التي تجري في الواقع الإنساني والسياسي والاقتصادي في العالم الإسلامي .

أما إتقان العمليات الانتخابية والبراعة فيها، وهو المعطى الذي برهنت عليه تلك الحركات في مختلف التجارب التي شاركت فيها، فليست إلا نتيجة لهذه المقدمات، التي جعلت الحركة الإسلامية اليوم تتميز بالحيوية والقدرة على التأقلم مع حاجات الواقع وإكراهاته.

هذا كله غيض من فيض يشير إلى الصعود منظورا إليه مدرجا ضمن شبكة الفاعلية التى يمكن أن نراها ضمن الشكل التالى :

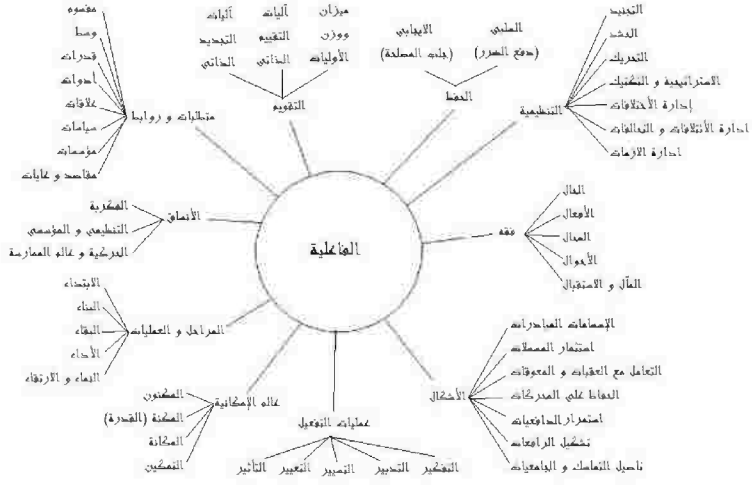

ضمن هذه الرؤية التى تشكل منظومة و شبكة الفاعلية يمكن النظر إلى مستقبل هذا الصعود للتيارات الإسلامية و -الذى استدل عليه بالمؤشر الانتخابى- يمكن رؤية مستقبل هذا الصعود سواء تراجع أو تصاعد ضمن بيئة المسهلات و المعوقات و السياقات التى يمكن أن نرى مستقبل أى قوى سياسية و مدى قدرتها على التعامل مع الوسط المحيط بها بقدرة وفاعلية. وهو أمر يؤثر بدوره على مستقبلية مشروع التغيير الحضارى الإسلامى .

من الخطأ أن نقصر عملية التغيير في حديثنا على ما هو **"إسلامي"**؛ لأن كل إنسان داخل المجتمع يمكن أن يسهم في عملية التغيير الاجتماعي، وبالإضافة إلى ذلك يجب ألا نفصل بين

الإسلاميين وغيرهم داخل المجتمع؛ لأن هذا الفصل يسهم في تحقيق عزلة للإسلاميين عن محيطهم الاجتماعي والحضاري.

من ناحية أخرى يجب النظر إلى التغيير الاجتماعي بكل دلالاته الحضارية باعتباره مدخلا للتغيير الحضاري، وهذا يحتاج إلى تجديد النظر الى **عدة أمور:**

أولا: مشكلة الفقه الجزئي، فالمجتمع في حاجة إلى فقه كلي شامل نربي من خلاله الأجيال الناشئة، مع الأخذ في الاعتبار أهمية التراث في هذه التربية، هذا الفقه الجزئي يجب أن يوضع في إطار الكليات الشاملة حتى يتحول إلى تربية ووسيلة تغيير.

ثانيا: غياب **"النقد الذاتي"**، وهو يختلف عن أسلوب **"جلد الذات"**، وكل جماعة لا تستطيع أن تمارس فاعليتها الحضارية إلا من خلال جهازين رئيسيين، هما: **"جهاز النقد الذاتي"**، و**"جهاز التجدد الذاتي"**، والحقيقة أننا ليس لدينا أجهزة للنقد والتجدد الذاتي داخل حضارتنا الإسلامية، كما أننا نتعامل مع مناطق مضيئة في تراثنا بشكل مهين.

أما عن عناصر التغيير الحضاري داخل الرؤية الإسلامية فإنها تستقى من الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:11]، والآية تتحدث عن ثلاثة صنوف من التغيير

وهي: (**التغيير من قبل الله، وتغيير ما في النفوس، والتغيير الجماعي**)، فالله تعالى يؤكد على أن التغيير مشروط بتغيير ما في النفوس وصولا إلى تغيير الجماعة والمجتمع، كما أن تكرار "**ما**" في الآية الكريمة دليل على ضرورة الاهتمام فى عملية التغيير بعالم الأدوات والسياسات والمؤسسات والخطط الاستراتيجية.

إن المجتمعات الإسلامية تعيش حالة من "**الاستقالة الحضارية**"؛ لأنها لم تهتم بوضع الخطط والعلوم لأجل عملية التغيير، ومعرفة كيف يؤثر تغيير ما بالنفس على تغيير ما بالأنفس، وتغيير ما بالأنفس على تغيير ما بالمجتمع ومابالقوم.

ذلك أن الربط بين ما يسمى بالتغيير الاجتماعي الحضارى وبين الإصلاح أمر لايمكن تجاهله، فإن أي تغيير حضاري لابد أن يهدف إلى الإصلاح، فالله تعالى يقول على لسان نبيه شعيب: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:88] ، فالله تعالى يتحدث هنا عن خمسة متطلبات للإصلاح.

أولا: الإرادة، وهي إرادة الهمة والإرادة المعنوية، فما لم تكن هناك إرادة قوية لا يمكن القيام على عمل يحدث تغييرا عمرانيا وحضاريا شاملا.

ثانيا: الاستطاعة، وهي الإمكانات، والإجراءات والسياسات وآليات التغيير والتدبير والتأثير.

ثالثا: التوفيق الإلهي قاعدة كلية يجب أن نتعامل معها؛ فالله تعالى لا يواتي أي إنسان بالمنن إلا إذا آتى السنن، والسنن لا تحابي أحدا سواء كان مسلما أو غير مسلم.

رابعا: التوكل، وهو الثقة في الله والأخذ بالأسباب.

خامسا: الإنابة، وقد جاءت في الآية الكريمة ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:88] فعلى الإنسان أن يرجع إلى الله تعالى وينيب إليه في كل أفعاله ضمن عمليات مراجعة وتقويم مستمرة.

المشاريع إذن لا يمكن أن تجرى فى فراغ ، ولايمكن أن تنعزل عن حركة المشاريع الأخرى ، بل هى غالبا تتدافع وقد تتداخل ومن هنا وجب التعامل مع مشروع التغيير الإسلامى ضمن سياقاته المتعددة وضمن علاقاته وتقاطعاته مع المشاريع المختلفة فى إطار من التدافع والتفاعل ، تعبر الرؤية الاستراتيجية فيه عن أهم عناصره ،وتعبر مرجعيته عن مجال تميزه وعن إمكانات تحالفه (**المشروع العروبى ، المشروع الإيرانى**) ،ومشروعات أخرى محل تدافعه (**المشروع الصهيونى ، المشروع الأمريكى**) ، وأول عناصر المدافعة فى المواجهة المبكرة لعملية الإعداد لعمليات الفك والتركيب (**سيناريو التبرير والتمرير**) كمقدمات تمهد (**لسيناريو التفجير**) .

إن المشاريع فى حال المواجهة يجب أن تضع فى قمة أولوياتها حقائق الجامعية كطريق للفاعلية باحثة عن أصول الموافقات والمشتركات تحقيقا للاعتصام نافية للانقسام ، ومن هنا فإن أى مشروع حضارى للتغيير خاصة لو كان إسلاميا يجب أن يتعرف على واجب الوقت المصاحب لفقه المرحلة ، ذلك أن واجب الوقت هو الأمر الذى يجب أن تجتمع الهمم عليه وتتكتل الطاقات من أجله لبلوغ مقاصده (**سيناريو الفاعلية والتأثير**) ، ويجب على هذا المشروع ألا يخوض معارك وهمية تبدد طاقته أو تحرف مسيرته أو تهدر مكامن فاعليته ، هاهو الطرطوشى يقرر فى سراج الملوك "**إذا استشرت عدوك فى أخيك ، أمرك بمقاطعته**" ، فهل يمكن أن نتعلم الدرس ؟! .

ومن هنا فإنه لاضير فى وجود مشروع قومى ومشروع إسلامى ، ولا بأس باختلاف الرؤى بين مشروع عربى ومشروع إيرانى على ألا يكون هذا الخلاف استراتيجيا ، ولكن الضرر المحقق فى انشغالهما بالمواجهة بينهم بدلا من الاصطفاف لمواجهة مشروع العدو ، وإدارة الاختلاف طريق مهم للخروج من الخلاف الى الائتلاف .

غاية الأمر إما أن ندير خلافاتنا أو ندار من خلال خلافاتنا ، وإما أن نملك أزمتنا وإلا استمرت أزماتنا ..!!